

١٨ - محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون او خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

وما إن انتهى سقراط من هذا الحديث حتى ساد الصمت فترة طويلة ، فبدأ هو نفسه ، كما بدأ معظمنا ، كأنما تفكر فيما قيل ، إلا أن سيبس وسيمياس تهاوسا بكلمات قليلة ، فلما لحظ ذلك سقراط ، استنباها عما ارتأيا فيما أقيم من دليل ، وهل لم يزل يعوزه التبعيم ، وقال : إن كثيراً منه لا يزال عرضة للشك والظن ، إذا ما سمحت من أحد عزيزته أن يقلب النظر في جوانب الموضوع كلها ، وإن كنتم تتحدثان عن شيء آخر ، فغير ألا أعترضكما ، أما إن كنتم لا تزالان تشكان في الدليل ، فلا ترددا في أن تصرحا بكل ما تراه ، ولناخذ بما قد تقترحانه ، إن كان خيراً مما قلنا ، واسمحوا لي أن أعينكما إن كان يُرجى لكما من نفع قال سيمياس : لا بد أن أعترف يا سقراط بأن الشكوك قد تارت في عقولنا ، وكان كل منا يحفز الآخر ويدفعه ليلقي السؤال الذي أراد أن يستجيب عنه والذي لم يرد أحد منا أن يلقه ، خشاة أن يكون إلحاحنا مضمياً لك في حالك الراهنة

فابتسم سقراط وقال : ألا ما أعجب ذلك يا سيمياس ! ما أحسبني في أرجح الظن مستطعياً إقناع سائر الناس بأنني لا أجد رزاً في موقفي هذا ، مادمت عاجزاً عن إقناعكم أنتم ، وما دمت على ظنكم أنني الآن أكثر مشغلة مني في أي وقت آخر . ألا تريان عندي من روح التنبؤ ما عند طيور التسم^(١) التي إذا أدركت أن الموت آتٍ لا ريب فيه ازدادت تغريداً عنها في أي وقت آخر ، مع أنها قد أنفقت في التغريد حياتها بكلمها ، وذلك اغتباطاً منها بفكرة أنها وشيكة الانتقال إلى الله ، الذي هي

(١) ما يسمى عادة بالأوز المراق Swana

كهنته ، ولما كان الناس يشفقون هم أنفسهم من الموت ، ترام يؤكدون اقتراء أن طيور التسم ، إنما تنشد مرثية في ختام حياتها ، ناسين أن ليس من الطيور ما يغرد من برد أو جوع أو ألم ، حتى البلبل والسنونو ، بل حتى المهدد ، الذي يقال عنه بحق انه يغرد تغريدة الأسمى ، وإن كنت لا أؤمن أن ذلك يصدق عليه أكثر مما يصدق على طيور التسم ، فهي إنما أوتيت موهبة التنبؤ لقداستها عند أبولو ، فاستطلعت ما في العالم الآخر من طبيبات ، فطفقت تغني لذلك وتمرح في ذاك اليوم أكثر مما فعلت في أي يوم سابق . كذلك أنا ، فاني أعتقد في نفسي بأنني خادم قد اصطفاه الله نفسه ، واني رفيق لطيور التسم فيما تعمل ، فإنا أظن أن قد آتاني سيدي من التنبؤ موهبة ليست دون مواهبها مرثية ، فلن أعادر الحياة أقل مرحاً من التسم^(١) . فلا تحفلا بمد بهذا ، وتكلما فيما تشاءان ، وسلا عما تشاءان ، في هذه الفترة التي يسمح فيها حكام أثينا لأحد عشر بالكلام

قال سيمياس : حسناً يا سقراط ، إذن فسأفضل إليك مسألي ، وسينبئك سيبس بمشكلته ، فاني لأقول مجترئاً إنك تحس يا سقراط ، كما أحس أنا ، كم هو عسير أو يكاد يستحيل أن تبلغ في مثل هذه المسائل يقيناً ، مادمت في هذه الحياة الحاضرة ، ومع هذا ، فاني لأنهم بالجبن كل من لا يدلل عليها ما وسعه الدليل ، أو كل من خار به قلبه قبل أن يخبرها من كل جوانبها^(٢) . فينبغي للمرء أن يشار حتى ينتمى إلى أحد أمرين : إما أن يستكشف حقيقتها أو يملها ، فان استحال ذلك فاني أحب له أن يأخذ بأقوم الآراء البشرية وأبعدها عن التفتيد ، وليكن ذلك طَوْفُهُ الذي يسبح به في الحياة - واني مسلمٌ بأنه ان يفعل ذلك

(١) هذه الطيور تزداد تغريداً إذا ما اقتربت من الموت ، فيزعم سقراط أنها تفعل ذلك ابتهاجاً بالموت ، لما قد وهبها الله من مقدرة النظر إلى ما وراء الحجب واستطلاع النعم الذي ستظفر به في الحياة الأخرى ، ثم يزعم أنه أوتى ما أوتيته هذه الطيور من موهبة ، فهو لذلك لا يبتس للموت

(٢) يعني سيمياس أنه ولو أن البحث في معبر الروح بعد الموت أمر لا يمكن الوصول فيه إلى نتيجة حاسمة ما دمتنا في هذه الحياة ، إلا أن من الضعف والخور ترك الموضوع بنبر محاولة التمدليل والتليل ، فينبغي للسان أن يبذل في ذلك وسعاً ولو لم ينته إلى رأى قاطع

والجفاف وما إليها ، وأن الروح هي ما بين هاتيك العناصر من انسجام ، أو هي مزاجها المترن التناسب ، فان صح هذا نتج بدهاءة أن أوتار الجسد إذا ارتخت أو أجهدت بغير مبرر بسبب الفوضى أو أى فساد آخر فنيت لذلك الروح جملة واحدة (١) ، ورغم ما بها من ألوهية غالبية ، مثل سائر الانسجامات التي تكون في الموسيقى أو آيات الفن ، ولو أن بقايا الجسد المادية ربما لبنت طويلاً حتى يدركها الفناء أو الاحتراق . والآن ، إن زعم زاعم بأن الروح تفتى أولاً فيما يسمى بالموت ، باعتبار أنها ما بين عناصر الجسد من انسجام ، فم نجيبه ؟

زكي نجيب محمود

(يتبع)

(١) يقول إن الشبه تام بين الانسان والقيثارة ، فبعضه يشبه مادتها الخشبية ، وروحه تماثل الانسجام الذي بين أجزائها ، فان كان الأمر كذلك جرى على الانسان ما يجري على القيثارة ، فالقيثارة إذا نددت أوتارها مثلاً تلاشي انسجامها وزال ، كذلك الانسان — على هذا الأساس — إن ندد جسده بالمرض أو الاعياء ، أو أى شئ آخر فنيت الروح مع بقاها الجسد ، على الرغم من ألوهيتها وأرضيتها ، وهو هنا يستوضح سقراط رأيه في هذا الاشكال

دون أن يتعرض للخطر ، إذا هو لم يستطع أن يجد من الله كلمة تسير به على هدى وطمانينة

والآن فساجسر ، كما تريدن ، على أن أستجيبك ، لأنى لأحب أن آخذ على نفسى فيما بعد أنى لم أدل برأى في حينه اللأم ، فانى إذا ما قلبت النظر في الموضوع ياسقراط ، سواء أ كنت وحدى أم كنت مع سيبس ، بدالى أن التبدليل لم يكن حاسماً

أجاب سقراط — إننى لأعترف بامسديق أنك قد تكون مصيباً ، ولكنى أحب أن أعلم في أى ناحية لم يكن التبدليل حاسماً فأجاب سيبس — في هذه الناحية : ألا يجوز أن يستخدم أحد هذا الدليل بذاته في القيثارة والانسجام — ألا يجوز له القول إن الانسجام شئ خفى ، غير جثمانى ، لطيف إلهى ، موجود في القيثارة المنسجمة ، ولكن القيثارة والأوتار ، مادة ، وهي مادة متألفة من أجزاء أرضية ، وتربطها القربى بالفناء (١) ؟ وأنه إذا تحطمت القيثارة أو تقطعت أوتارها وتمزقت ، فان من يأخذ بهذا الرأى يدلل كما تدلل أنت ، وبالتشابه نفسه ، على أن الانسجام يبقى حياً ولا يفنى ، لأنك لا تستطيع أن تتصور ، كما يجوز القول ، أن تبقى للقيثارة بغير أوتارها ، بل وتبقى الأوتار الممزقة نفسها ، على حين أن الانسجام الذى تمت بأسباب القربى إلى العليمة السابوية الخالدة يفنى — بل ويفنى قبل الذى هو فان سيقول إن الانسجام لا شك موجود في مكان ما ، وإن الفناء سيعيب الخشب والأوتار قبل أن يصيب ذلك الانسجام ، وإنى لأشك ياسقراط أنك ستأخذ ، أنت أيضاً ، في الروح بهذا الرأى الذى نميل جميعاً إلى الأخذ به ، وستذهب كذلك إلى أن الجسد إنما أقيم وارتبطت أجزاؤه بفعل عناصر الحر والبرد والرطوبة

(١) من الأدلة التي أقامها سقراط على خلود الروح أنها تشبه في صفاتها العنصر الإلهى ، أما الجسد فعادة أرضية وإذن فلا يجب أن ينتهى أمره إلى الفناء . فيترض سيبس بقوله لو صح هذا الدليل لكان الانسجام الموجود بين أجزاء القيثارة مثالاً أيضاً لأنه في صفاته كذلك يشبه الإلهى ، وأما جسم القيثارة فثقله مثل الجسد الانبائى ، مركب من مادة أرضية ولذا فهو سائر إلى الفناء ، فان كان من المشاهد أن مادة القيثارة تبقى أمداً طويلاً حتى بعد تحطيم أجزائها ، فليس من المقبول — بناء على دليل سقراط — أن يكون قد فنى الانسجام الذى كان بين تلك الأجزاء عند ما كانت متصلة في القيثارة

ظهِرَ حَدِيثُ كَاتِبٍ:

فِي أَصُولِ الرَّبِّ

فِي ٢٢٠ صَفْحَةٍ بِقَسَمِ

إِمْرَأَتِ الرَّبِّ

بَطْلِبُ مِنْ إِرَادَةِ بَحْثِ الرِّسَالَةِ

٢٤ سَاعِ البَدْرِ - القَاهِرَةِ

وَمِنْ سَائِرِ الكَاتِبِ وَمِنْهُ ١٢

فَرَسًا صَافِيًا مَدْرَفَ أَجْرَةِ الرَّبِّ